شهادة أهل الكتاب باتصاف النبي ﷺ بالصدق ونفي الكذب عنه.

لم تقتصر الشهادة على صدق النبي ﷺ على قومه فحسب؛ بل شهد له بذلك النصارى، وممن شهد له منهم بالصدق هرقل؛ إذ سأل أبو سفيان عن أسباب الكذب وعلاماته فرآها منتفية عنه، وسأله عن علامات الصدق فوجدها ثابتة له؛ فاستدل بقياس الأولى على صدقه في دعوى النبوءة؛ فمن كان لا يُعرف إلا بالصدق محال أن يكذب على الله. كما شهد له اليهود؛ كعبدالله بن سلام.

شهادة أتباع النبي ﷺ باتصافه بالصدق ونفي الكذب عنه.

ومن ذلك:

- شهادة أقرب الناس إليه زوجته خديجة -رضي الله عنها- فهي تعلم أنه الصادق الأمين، وقالت له: كلا والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتُقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.

  وقد عُلم من سنة الله أن مَن جَبله الله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه.

- شهادة صديقه أبي بكر -رضي الله عنه- لما أُسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى، حيث قال رضي الله عنه: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة.

وغير هذه الشواهد كثير جدًا؛ فلم يجرؤ أحد من قوم النبي ﷺ على رميه بالكذب؛ إذ لم يكن صدقه موضع شك مطلقًا لدى القريب والبعيد، فقومه على علم بحياته كاملة ولم يرموه بالكذب والاحتيال؛ وإنما رموه بفقد الوعي والشعر والسحر وتسلط الجن عليه وتمكنها منه، وغير ذلك مما نفاه الله تبارك وتعالى عنه.

وفي قوله تعالى: (قل لَو شاءَ اللَّهُ ما تَلَوتُهُ عَلَيكُم وَلا أدراكُم بِهِ فَقَد لَبِثتُ فيكُم عُمُرًا مِن قبلِهِ أفَلا تَعقِلونَ) [يونس: ١٦] احتجاج على من لم يؤمن بمحمد ﷺ بأنه مكث فيهم من أول عمره إلى وقت إعلان نبوءته، وهم عالمون بحاله، ثم جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم والأخلاق فدل ذلك على أن ما جاء به وحي من الله تعالى وليس هو من عنده ، لا سيما وأنه أمي لم يقرأ ولم يتتلمذ ولم يطالع كتبًا.

الوجه الثاني:

اتصاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من قبله بالصدق؛ فاتصاف الأنبياء بالكمال الأخلاقي أحد الأدلة على صدق نبوءتهم، ووصف القرآن لهم بذلك يعني لزوم انتفاء الكذب عنهم؛ والآيات في ذلك كثيرة؛ ومن ذلك وصفه سبحانه لإبراهيم عليه السلام بقوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) [مريم: ٤١].

الوجه الثالث:

في كمال أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دلالة على كمال من أرسلهم سبحانه؛ وتصديقهم تصديقًا له وتكذيبهم تكذيبًا له.

الوجه الرابع:

ليس في كتب الأنبياء السابقين ما يوجب تكذيب النبي ﷺ، فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حذروا من فتنة المسيح الدجال الكذاب الذي يلبث مدة قليلة، وبشّروا بدعوة محمد ﷺ؛ ولو كان كذبًا لكان تحذيرهم منه أولى من تحذيرهم من الدجال، فأتباعه أضعاف من يتبع الدجال، ودعوته قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الوجه الخامس:

دلالة اتصاف النبي ﷺ بكمال الصدق من جهة أتباعه، فلما بُعث النبي ﷺ تلقى عنه المسلمون؛ فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمته أخذوه عن نبيهم ﷺ. وأن أتباعه لم يرتدوا عن الدين الذي جاء به سخطًا لدينه؛ بل يزيدون.

الوجه السادس:

الدلالة على صدقه من جهة حاله ﷺ، و ذلك من عدة أمور:

من المعلوم بالضرورة أنه لا يُمكن إبطان الكذب والديمومة عليه؛ دون كشفه.

استحالة أن يكذب على الله من لا يكذب على البشر.

يمتنع أن يكون حال مُدعي النبوءة نبيًا صادقًا، ومتنبئًا كاذبًا، في الوقت ذاته، لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان.

ثقة النبي ﷺ بربه جل وعلا وثباته مع تربص قومه به.

بقاء النبي ﷺ على كمال أخلاقه الحميدة من أول حياته حتى آخرها؛ قبل نبوءته وبعدها؛ إذ الكذاب المزور لا يمكنه ذلك.

صبر النبي ﷺ على تحمل المشاق؛ وزهده في الدنيا حتى بعد أن فُتحت عليه.

امتثاله ﷺ لما أمره به ربه جل وعلا وانتهاؤه عما نهى جل وعلا.

إن النبي الصادق تستمر نبوءته، بخلاف الكاذب مدعي النبوءة لا يدوم إلا مدة يسيرة.

توافق الأخلاق الحميدة فيه ﷺ وأنه نبي لا يمكن أن يحدث اتفاقًا دون سابق تقدير بإرادة وحكمة الرب جل وعز.

المبحث الثاني

دلالة استحالة كذب النبي ﷺ

الوجه الأول

لم يُتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالكذب ولو حفظت عليهم كذبة نادرة في غير النبوءة لجُعِلت دليلاً على تكذيبهم.

غير أن من أسباب تكذيب الأنبياء بما جاءوا به:

- مخالفة ما جاء به الأنبياء لما عليه أقوامهم.
- مخالفة ما جاء به الأنبياء من الحق لعادات وتقاليد الآباء.

- أن الأنبياء من البشر.
- الحسد (وهو ما حمل اليهود والنصارى على تكذيب نبينا محمد ﷺ).
- الكِبر والمكابرة.
- الخوف على النفس والمصالح والمناصب الاجتماعية (وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) [القصص: ٥٧].
- اتباع الهوى.

فهذه بعض أسباب تكذيب الأنبياء وهي تتكرر قديمًا وحديثًا .

الوجه الثاني

أن من يتصف بالصدق لا بد أن ينتفي عنه الكذب وكذا العكس؛ فدليل الشيء مُستلزم له كأعلام النبوة ودلائلها، وآيات الربوبيـة، وأدلة الأحكام، وغير ذلك، وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه، كانتفاء لوازمه مثل صدق الكاذب، يقال: لـو كـان صادقـًا لكـان متصفـًا بما يتصف به الصادقون.

الوجه الثالث

لو كان محمد ﷺ كاذبًا للزم من كذبه لوازم كثيرة -تفوق الحصر- تبين كذبه فإذا انتفت انتفى الملزوم، وصدقه ﷺ لازم لأمور كثيرة، كلها تدل على هذا الصدق، وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم.

ومن ذلك ما جاء به القرآن من نفي الافتراء، والآيات في ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: (وَما كانَ هذَا القرآنُ أن يُفتَرى مِن دونِ اللَّهِ وَلكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ الكِتاب لارَيبَ فيهِ مِن رَبِّ العالَمينَ) [يونس: ٣٧] وما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى، أي ليس وصفه وصف شيء يمكن أن يُفترى به على الله، لأن المفترى هو الذي يأتي به البشر، والقرآن لا يقدر عليه البشر، ولما نفى القرآن الافتراء أخبر عنه بأنه تصديق للكتب السالفة وتفصيل لها. قال تعالى (ولكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ الكِتابِ لارَيبَ فيهِ مِن رَبِّ العالَمينَ) [يونس: ٣٧].